قصيدة (جنائن آدم) للشاعر عقيل علي (دراسة سيميائية)

م . د . أحمد عباس كامل الأزرقي

المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار

ملخص البحث:

يطمح هذا البحث الى تعزيز أهلية نصوص (القصيدة النثرية) للتحليل والدراسة في ضوء المنهج السيميائي لأنها تقوم على تقنيات تميل الى الاعتماد على لغة مقننة تخفي أكثر مما تفصح وتجنح لاستعمال كم كبير من العلامات المسكونة بالدلالة والايحاء فتكون بذلك انموذجاً مناسباً لكي تتجلى فيه خصائص المنهج السيميائي .

وقد أخترنا قصيدة نثرية مطولة للشاعر العراقي عقيل علي بعنوان (جنائن آدم) لتكون نموذج الدراسة وتقع هذه القصيدة في مجموعته القصصية التي تحمل عنوان (جنائن آدم وقصائد آخرى) . ولأجل التعرف على أهم ملامح السيمياء وفاعليتها في تحليل النص النثري أخترنا أبرز المحاور في هذا العمل الشعري التي يمكن ان تتوافر على أهم مقولات المنهج السيميائي في تحليل النصوص فخصصنا المبحث الاول لسيمياء العنوان ومدى امتداداتها في اجزاء النص الشعري والمبحث الثاني لسيمياء الصورة الشعرية بوصفها علامة منتجة للدلالة والمبحث الثالث لتطبيقات المربع السيميائي وعلاقاته تتلو ذلك خاتمة تبين أهم نتائج البحث

الكلمات المفتاحية : السيمياء . العنوان . الصورة الشعرية . المربع السيميائي .

The poem "Jana'ain Adam " by the poet Akeel Ali "A Semiotic Study"

Lect. Dr. Ahmed Abbas Kamil Al-Azraqi

General directorate of Education in Thiqar province

Abstract:

This research intends to consolidate the prose poem competence for studying and analyzing in the light of semiotic approach because it is based on technics of standard language which has hidden more than declared.

It also tends to use a large amount of implied signs of revelation and significance so it can be a suitable pattern for the features of semiotic approach that may appear.

We select a long prose poem " Jana'ain Adam " from the collections " Jana'ian Adam and other poems " by the Iraqi poet Akeel Ali so as to know the most important and effective features of semiotics in prose text analyzing which have the most important sayings of semiotic approach in texts analyzing.We assigned the first research for the semiotics of the title and it's extentions scope in the parts of the poetic text . The second deals with the semitics of the poetic image described as a productive sign for significance and the third research is for the semiotc square with it's relations .

There's also a conclusion that shows the most important results of the research.

Key words: Semiotics , Title , poetic Image , Semiotic Square .

المقدمة

إنَّ من أبرز مايبرر اختيار المنهج السيميائي في مقاربة نصوص قصيدة النثر هو ما يصاحب تلك النصوص من استعمال مميز للغة حيث يتقصد النص ان يثير تضبيباً تستتر خلفه تشكلاته الصورية لكي يوسع من دائرة الاحتمال التأويلي لتلك الصور ولكي يكاثر من تعددية القراءات الضامنة لاستمرارية النوع الأدبي .

ولقد استند المنهج السيميائي على العلامة بوصفها ركناً أساسياً فيه وعليها يقوم عماد المعنى الذي تداولته كثيراً قضايا الشكل والمضمون ويمكننا ان نشهد وعياً انسانياً مبكراً لدور العلامة التي عُدَّتْ المبرز المعرفي المهم في مباحث السيمياء فقد تعرفت مباحث الفلسفة اليونانية القديمة على مفهوم العلامة في آثار ارسطو والقديس اوغسطين وآثار الرواقيين والسوفسطائين وجون لوك بوصفهم رواد المقاربات السيميائية القديمة وصولاً الى الريادة الجديدة عند موكاروفسكي وكريماس وكرستيفا

ولعل الانتشار الواسع للمقاربات السيميائية لكل مجالات المعرفة الانسانية جعل من هذا المنهج ضرورة معرفية ملحة تدفع الى تفهم اصوله وآلياته الاجرائية .

ففي أظهر تعريفاته كما عند دي سوسير وهو الاصل في تسمية هذا العلم بالسيميولوجيا أنَّه العلم الذي يدرس حياة العلامات داخل المجتمع . وتعرف السيمياء أيضا بأنَّها الدستور الشكلاني للإشارات. أي انها تمثل نظاماً لدراسة الاشارات بمختلف انواعها . في حين يرى جاكوبسون أنَّ السيميائية تتناول المبادئ العامة التي تقوم عليها كل الاشارات

وعلى الرغم من الاختلاف الحاصل في تعريفات هذا العلم إلّا أنَّها بقيت تدور في فلك الأنظمة والإشارات والعلامة اللغوية . فالعلامة تعد مبرزاً مهماً في الدرس السيميائي المعاصر فهي في أبسط صورها مجموع الدال والمدلول . فالدال هو البعد الحسي المنظور أو المسموع أو المحسوس وغيره . والمدلول هو البعد التصوري أو مانعقله من الدال .

ويتلخص عمل السيمياء في اكتشاف العلاقة بين الدال والمدلول التي يراها دي سوسير (وهو الاصل في تسمية هذا العلم بالسيميولوجيا) أنَّها اعتباطية وعشوائية وأن لاقيمة للعلامة إلّا بوساطة دخولها في علاقات متبادلة مع جوارها من العلامات وقد مثل مع تلامذته فيما بعد الاتجاه الفرنسي في دراسة السيمياء وهو يتعامل مع العلامة من منطلق لساني لغوي .

بينما توسع بيرس (وهو الاصل في تسمية هذا العلم بالسيميوطقيا) في مفهوم العلامة فيمكن ان تتحول مفردات المحيط من أشياء وطقوس وأوهام وحقائق من حولنا الى علامات ويرى أنَّ العلامة وحدة تركيبية تقوم على ثلاثة أبعاد هي الممثل والموضوع والمؤول وقد مثل بيرس الاتجاه الامريكي في دراسة السيمياء الذي يتعامل مع العلامة من منطلق فلسفي . وقد وقع الاختيار على قصيدة النثر لانها تعتمد تقنية الاقتصاد في الاداء اللغوي وتعتمد أيضا تقنية التكثيف الصوري والدلالي مما يجعلها بحاجة الى استعمال العلامة بجانبها الرمزي لاختصار الكثير مما يجب قوله ولكي تفتح أمام مساحة مريحة من التأويل والتحري الواسع لأفق المعنى وتقلباته . واخترنا قصيدة (جنائن آدم) للشاعر العراقي عقيل علي من ضمن مجموعته الشعرية التي تحمل عنوان (جنائن آدم وقصائد اخرى) وقد احتوت المجموعة على عنوانين باسم

(جنائن آدم) الاول مثل اسم المجموعة وتحته اسماء لقصائد المجموعة الاخرى والعنوان الثاني يشير الى اسم القصيدة (جنائن آدم) التي سميت المجموعة باسمها ودفعاً للالتباس اقتضينا طرح هذا التوضيح

المبحث الاول : سيمياء العنونة

حظي العنوان بأهميةٍ بارزة في الدراسات النقدية التي اتخذت السيميائية منهجاً لها نظراً للوظائف الأساسية المرجعية والإفهاميه والتناصية التي تربطه بالنص الأدبي[١] وصار بإمكاننا ان نسجل اضافة جيدة في سجل العلامات التي يزخر بها النص وهي علامة العنوان بوصفه العتبة الاولى التي يقابلها المعتني بدراسة النص. وبوصفه بنيةً نصيةً قوامها اللغة التي افترضتها السيميائية نظاماً من العلامات[٢] .

أنَّ هذا الافتراض المنهجي لعلاماتية العنوان يمهد السبيل لتقبل فيض كبير من الدلالات بوساطة عملية التأويل لحمولته . فهو لم يعد غرضاً تزيينياً للقصيدة وإنَّما اعتمدته آليات الدراسة السيميائية مقترباً مفتاحياً تدليلياً لمعنى القصيدة .

والعنوان في اللغة يتحدر من الاصل اللغوي (عنن) ((وعَنَنْتُ الكتابَ وأَعْنَنْتُه لكذا أَي عَرَّضْتُه له وصرَفْته إليه وعَنَّ الكِتابَ يَعُنُّه عَنّاً وعَنَّنه كَعَنْوَنَه وعَنْوَنْتُه وعَلْوَنْتُه بمعنى واحد مشتق من المَعْنى وقال اللحياني عَنَنْتُ الكتابَ تَعْنيناً وعَنَّيْتُه تَعْنِيَةً إذا عَنْوَنْتَه أَبدلوا من إِحدى النونات ياء وسمي عُنْواناً لأَنه يَعُنُّ الكِتابَ من ناحِيتيه وأَصله عُنَّانٌ فلما كثرت النونات قلبت إحداها واواً .... ويقال للرجل الذي يُعَرِّض ولا يُصرِّحُ قد جعل كذا وكذا عِنْواناً لحاجته وأَنشد :

وتَعْرِفُ في عُنْوانِها بعضَ لَحْنِها وفي جَوْفِها صَمْعاءُ تَحْكي الدَّواهِيا

قال ابن بري والعُنْوانُ الأَثر ... وكلما استدللت بشيءٍ تُظهره على غيره فهو عُنوانٌ له))[٣] والظهور هو ضد الاخفاء ، وكل شيء يستدل به على غيره فهو عنوان ومنه عنوان الكتاب[٤]

ومجموع دلالات العنوان في مصادرها اللغوية تتوزع حول جملة من المفاهيم منها : التعريض وهو ضد التصريح ، والأثر الذي يستدل به على غيره ، والقصد اذ يشير العنوان لمقصدية الكاتب بوساطة التسمية التي عُرِفَ الكتاب بها وهو علامة تكون بوجه من يطالع الكتاب .

ونستشف من هذه المعاني البعد العلاماتي للعنوان بوصفه كاشفاً عن حقيقة الكتاب حيث لمحنا أضافة هذه المعاني لمفردة (الكتاب) فهي أضافة مختلفة تلمح ولاتصرح وتدفع الى اشغال الفكر في حقيقة محتواها. لذلك فهو يشكل نقطة اعتراض ومواجهة تنعم ببعد دلائلي كبير يتصف بالتشويق بدرجة ما [٥] .

وفي الاصطلاح لم تحفظ المصادر العربية مفهوماً محدداً للعنوان خصوصاً في مجال دراسة الشعرية لأن القصائد العربية لم تكن تحفل بهذه العتبة النصية ولم يحرص الشعراء أو رواتهم على اطلاق عناوين لقصائدهم وأنَّما عرف هذا في الشعر الحديث[٦]، إلّا إنّنا يمكن أن نؤشر ماينوب بقدر محدد عن العنوان في طرائق معينة منها :

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٦ – تموز لسنة ٢٠٢١

١ ــ استعمال المطالع للإنابة عن العنوان منها: ودع هريرة للأعشى وبانت سعاد لكعب بن زهير

٢ ــ استعمال حرف الروي مضافا الى اسم الشاعر لينوب عن العنوان مثل: لامية الشنفرى رائية ذو الرمة ونونية ابن زيدون . وبالنتيجة فان هذه الطرائق في العنونة لاتمثل بنية قارة من بنى القصيدة وانما هي بنية طارئة عليها ولاترقى للتماهي مع المفهوم المعاصر للعنوان.

إنَّ العنوان في القصيدة المعاصرة وبالتحديد في مباحث المنهج السيميائي يمثل نصاً من النصوص الموازية التي تشترك في البناء الدلالي للنصوص الأم . ويعد (لوي هويك) من أوائل المؤسسين لمفهوم العنوان في مفهومه الحديث في كتابه (سمة العنوان) فهو يرى أنَّ العناوين تجاوزت مفهومها الكلاسيكي الى مفهوم تمتلك فيه وقعاً بالغاً في تلقي كل من القارئ والجمهور[٧] فهو ((مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه وتشير لمحتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف)) [٨]

ويرى (بارت) أنَّ العنوان عبارة عن أنظمة زاخرة بالدلالات تحمل في ثناياها قيماً أخلاقيــة واجتماعيــة وايدلوجية[٩] وضروري ان نسجل تعريف (جيرار جينيت) للعنوان بوصفه الرائد في دراسة عتبات النص الذي يمثل العنوان عنصراً نشيطاً فيها فهو يرى أنَّ العنوان ((هو مايصنع به النص من نفسه كتاباً ويفرض ذاته بهذه الصفة على قرّائِهِ وعموماً الجمهور أي مايحيط بالكتاب من سياج أولي وعتبات بصــرية ولغويــة))[١٠]

يُستهل النص بعنوان (جنائن آدم) وهذا الاستعمال للفظة جنائن يحيل على مفهوم أرضي يباعد المفهوم السماوي عن الجنة فكلمة جنائن مرتبطة بالثقافات الإنسانية التي تحدثت عن الجنة أمّا المدونة الدينية فهي تتحدث عن جنة واحدة عندما يجري الحديث عن آدم وكيفية وجوده في الجنة

ان تفكيك العنوان بهذه الطريقة يحيلنا الى نسق معرفي سائد فرضته ثقافة تلقاها النص من دون مراجعة ، فالجنائن لآدم وهو الرجل في كل وقت وزمان والمرأة تعيش على هامشه وتتبع مساراته وتصنع معه ثنائية لايكاد أي نص معرفي ان يتجاوزها .

وتبدو حالة الاقتران بالمماثل غير منفكة عن شخصية النص فهو لايريد أن يسير أو يقدم قناعاته لوحده وإنّما يحرص أن يمثلها برفقة الطرف الآخر وسيختار مماثلاً جديداً هذه المرة وهو الاشجار التي تنوب في أكثر تجلياتها المصورة عن المرأة التي شكلت الطرف الراسخ من ثنائية (آدم وحواء) .

إن حالة الاقتران بالشريك الذي فرضته تداعيات الخارج لم تخفف من تركيز حالة الوحدة التي تبغيها الشخصية في اطلالتها الاستهلالية واستطاعت ان تقدم سلماً من درجات التشاكل المنبسطة بكثرة في النص وان كانت ستتعرض لإعادة صياغة جديدة هذه المرة .

أنَّ مما يوفره العنوان اقتراحه لعلامة رائدة تقوم بمهمة الاحتواء لمدلول النص وتقوم بمهمة تناصية تحيل الى نص خارجي وبهذا يكون العنوان أحياناً نقطة عبور للعالم الخارجي الذي يكتنف النص اذا كانت احالاته ذات

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٦ – تموز لسنة ٢٠٢١

معنى خارجي وقد يكون نقطة عبور داخلية اذا كانت احالات النص الى معانيه الداخلية وهو بهذا يمثل عقدة مواصلات مهمة في طريق اكتشاف النص(١١)

ان عملية العبور هذه لن تتم بآليات منفردة وانما تعمد الى استضافة ماتجده متشاكلاً معها مما يستوعبه تعريف التشاكل الذي يتناول التوازي والتجانس والتناظر والتماثل(١٢) ويتعرف عليه المتلقي برصده لموارد التكرار والتوارد . وفيما نراه من تواشج شفيف بين العنوان بوصفه بنية معرفية مشتركة وباقي نسيج النص يعدُّ تجلياً واضحاً من تجليات التشاكل بوصفه أداة سيميائية للتعرف على معاني النص العميقة .

ففي المقطع الاول من القصيدة يقول الشاعر :

تتبعنا أشجار لاتنكس ظلالها إنَّها لاتكرهنا
أشجار وتقاويم نفك فيها حبالنا اننا لانرحل
أرمي للكذبة رأساً من أجل أن تكون حانية
بينما الكلمات مجدبة ، وهذا ماأعرفه
ولا ألوي على شيء (١٣)

إنَّ لآدم علاقة غير ودية مع الأشجار . لكن مشاكلة هذا الموقف في النص تجعله في علاقة تناصية مختلفة فالأشجار هنا لم تعد غير ودية ولم تحرم آدم من ظلالها وأنَّما فردتها عليه لتداري حجم مرارته التي عاناها أنها أشجار ودودة تنطلق تحتها قيود لايمكن أن تنطلق في مكان آخر .

وفي مقاطع أخرى من القصيدة يستمر التشاكل والتواشج بين دلالات العنوان وبين مايقدمه النص من قراءة نلمح فيها بقايا أمشاج لصورة العنوان وقد تمازجت مع أجزاء مختلفة من القصيدة فالإفصاح لمرة واحدة قد لايكفي أو لا يستوعب جوانب الفكرة الواحدة أو ان هناك هواجس متغيرة قد لاتكفي اللحظة الاولى التي يستغرقها الاستهلال لأن تستوعبها فيضطر الشاعر الى الاستمرار بتأدية الفكرة مع اختلاف الالفاظ والصور وبذلك يستطيع العنوان أن يمسك بمفاتيح النص وأن يعرف جميع أسراره (١٤) . فعن طريق تحديد البعد المكاني والزماني في بنية العنوان نلمح محورا مركزيا تتقاطع حوله توجهات النص الاخرى .

فلفظة الجنائن بحد ذاتها تدخر بعداً زمنياً مغرقاً بالقدم يتمازج مع عذريته التوجه الانساني الاول عندما كان يكتشف أسرار هذا العالم الجديد وحده وهذا مايستهوي الشاعر مراراً فيقول :

متأبطاً عنقي ، مبعداً عني الخوف بالخشخشة
أحصي شبيهي الذي يأكل أحشائي ، شبيهي القاسي
أشحذ رماله ، لا أمنحه رهبة الظهور
إنّي لملاحقك أبداً
بهذا وحده ينطق الصمت لهذا وحده أعطي القوة (١٥)

وتوحي لفظة الجنائن أيضا ببعد مكاني مؤثر يقترب من مفهوم النقاء الذي حدده التداول المشهود لمفردات الطبيعة في أجزاء القصيدة الأخرى من قبيل (أزهار الطفولة ، الشراع ، الصيف ، الاقمار ، النسر ،

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ – المجلد ٤٦ – تموز لسنة ٢٠٢١

السلاحف ، المنحدرات ،العصفور) أنَّ ما يجمع هذه المفردات هو التأسيس لعالم أنساني يزخر بالفطرة ويقاوم بصمت تحدياته التي تشبه تحديات آدم ممثلة بالاغواء والحاجة .

فالعنوان لم يعد يكتفي بوظيفته التقليدية وإنَّما تعداها ليشكل بنية نصية مستلقة ومكتفية بذاتها لتصنع لها دالاً يحيل على مدلولات مفتوحة بأمكانية التأويل بما سيسمح للمتلقي للمبادرة في اكتشاف النص لتكتمل في ذلك عدة الوظائف المرجوة منه [١٦]

إنَّ اختيار الجملة الاسمية عنواناً للقصيدة وللمجموعة القصصية وهي المتكونة من مبتدأ وخبر فيه دلالة على معنى الثبوت إن لم تكن هناك قرينة تدل على الحدوث[١٧] وفيه دلالة على معنى التعريف وطبيعة المهمة التي تنتظر الشخص المعرف بنفسه .

المبحث الثاني : سيميائية الصورة الشعرية

سجلت الصورة الشعرية مكانتها بوصفها أحدى الأركان الأساسية في العمل الشعري وبها يتحصل أهميته وقيمته فهي جوهر الشعر الذي يميزه عن النثر ومستودع طاقته الشعرية[١٨] ومازال للصورة مكانتها في الدراسات النقدية السابقة واللاحقة لأنها تمثل قوام الشعر[١٩] ومع تلك الأهمية لكنه أصبح من غير الممكن أن نتوافر على تحديد مفوهمي للصورة وبقيت الى الآن لاتتحصل على تعريف لها نظراً لاختلاف منطلقاتها وتعقيدها الأمر الذي انعكس تشويشاً واضطراباً على مفهومها وعدت محاولات ايجاد تحديد تعريف نهائي لها ضرباً من المحال [٢٠] وبقيت الصورة لزمن طويل حبيسة المفاهيم النقدية والبلاغية التقليدية القديمة الى ان برزت في الادب الحديث كحالة شعرية تنبع من اعماقها المعاني لما لها من دفق شعوري فياض[٢١]

وفي رحاب المنهج السيميائي فان الصورة المتجسدة لغة هي علامة لها دال ومدلول وذلك لأن الوقائع البصرية التي تكون الصورة احدى تشكيلاتها هي لغة مسننة أودعها الاستعمال الانساني قيماً للدلالة والتواصل والتمثيل[٢٢] . وما يبتغيه المنهج السيميائي هو البحث عن كل ماله علاقة بالمعنى وبما ان المعنى يتولد في الشعر من صوره[٢٣]لذلك سيكون نصيب الصورة في المنهج السيميائي كبيراً .ففي نص الشاعر :

لبصيرتي بقعة أتعقبها في الحقول الضريرة المعدودة

أعلن هذا أمام جنوني لأستحوذ على الأشراقة

أهبط منحدرات ، أتأمل سلام أسير ، أحزن لأنتظار مخادع

مشاكساً أعوامي ، مفنداً شتائم ديمقراطية ، عائداً بها الى أصولها

مغلقاً أكثر من كفٍ على أكثر من باب ، ولاخلاف على هذا [٢٤]

إنَّ ما تفعله العلامة إنَّها تحتفظ بأكبر قدر ممكن من الطاقة الإيحائية لتطلقه عند أقرب فرصة تأويلية وهذا مايحرص عليه النص عندما يختار لصوره مناسبات يمكن أن تناسب كثيراً مسافات التأويل الطويلة . فالبحث عن مساحة صغيرة للظهور يشكل أملاً حراً وصحيحاً يستحق أن يبذل في سبيله الجهد كله فالأمل الصغير يغري بالمتابعة ويدفع الى التمسك به بعيدا عن اغراءات الاحلام الكبرى . ان التنقل بهذه الطريقة يوحي بتعقب خطى كلكامش وهو يبحث عن سر الخلود ليقاوم به تحديات الفناء والجنائن الجديدة لآدم اليوم هي

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٦ – تموز لسنة ٢٠٢١

اختبار لمدى مقاومته لتيارات المحو . والمحو الجديد الذي يهدده هو محاولات لتقسيم ذاته وبعثرتها لتصبح أقل من مجرد اشراقة صغيرة

ويقول الشاعر :

مرتبكاً ألاقيك في الجنوح

لنبدأ فعلا غير مكتمل ، تواصلاً غير مربوط

أطرق حين تطرق أمام مرآتها ، موسداً إياها

في الليالي كلها أتبع ذلك الجواب

أغريه بأن نكون وحيدين ، بلا ممرات ، ساكتين ساعة التنبه

غاسلين الوعي بماء اللحظة (٢٥)

تسهم الصورة في بلورة الحدث وفي تكثيفه مستوعباً أزمنة مختلفة وقد ركز النص النثري عند عقيل علي كثيرا على ابداع أنماط من الصور تصلح بصورة مقصودة لكي تثير التساؤلات المتعددة . ففي سبيل نقل الافكار والمفاهيم والمعنويات يجنح النص الصوري الى مزيد من التغريب في محاولة للتأرجح بين المألوف وغير المألوف ورغبة التجسيم لديه لاتكاد تستقر على ماهو طبيعي أو مدرك بل تختار لها منظراً مربكاً يفاقم من لحظات الازمة عنده فهو لايريد ان ينفصل عن ماهيته الاخرى وانما يريد ان يؤكد بأنَّه ماضٍ في سبيل تحقق جديد تأبى رغبته ان يكون من ضمن منسياتها لذلك يضع نفسه في هالة البهاء حتى لو أودت به الى الجحيم . وهو في كل ذلك يتمشى برواق واحد مع الحقيقة الازلية التي بدأت بحكاية آدم مع حواء ومازالت الى اليوم هي مثار اهتمام الذات الشاعرة بكل تقلباتها.

وفي مقطع آخر يقول الشاعر :

صداقة الاشياء قاطبة ، عداء الاشياء قاطبة هذا مانريد

لانطلق أغاني الحبيبات فقط ولكن أيضا الصرخة المدوية

وبنفس الحنجرة هذا مابحنا به ولم ننسه (٢٦)

يتعمد النص ان يثير حوله سحابة من الاحتمالات في سبيل توسعة مجال التفضية ليتسنى للمتلقي ان يحسب حساب توقعاته كلها . وهذا التعمد المقصود يتغيا ان يصنع جواً ايقاعياً مخصوصاً لنفسه مادام قد طرق جنساً أدبياً لايحفل بالوزن التقليدي فنراه مغرماً بتكسير أفق التوقع بوساطة تجاورات دلالية غير مألوفة ولامتوقعة . وفي كل ذلك هو لايقترح فكرة يعتنقها فالصداقة والعداوة مع جميع الاشياء لها هدف واحد لديه والاغنية تشابه الصرخة المدوية على كل حال . وهذا تناص يحيلنا الى بيت أبي العلاء المعري المشهور :

وشبيهٌ صوتُ النعيِّ إذْ قيسَ بصوتِ البشيرِ في كلِّ نادِ(٢٧)

ان الغناء والصياح يتمّان في حنجرة واحدة فلا داعي للفروقات الزائفة والتفاؤل المصطنع فالاحتفاء بالعلامة لايمكن ان يحدد ببنية معينة فهو متوقع الحدوث في كل شيء يقترحه النص بوصفه علامة فمن الوحدات الكبرى الى الذرات الصغيرة لابدَّ وان نعثر على علامات شتى .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٦ – تموز لسنة ٢٠٢١

وداعا اذن ايها الحاكي الهرم

ملأنا بمواعيدنا الانذهال ، ونسينا انك قد خدعتنا مرارا

سمعنا الزلزال قبل الهدهدة ، ولن نخلص من هذا أبداً(٢٨)

انه يحسب ان الامر مجرد خدعة تحملها السنين الهرمة التي تَحَمَّلَ كثيراً ثرثرة حكمتها المخيبة للآمال .لأنه يرى ان كل هذا العناء من أجل فردوس غير مضمون وان الحقيقة الصالحة هي أكبر من يحتويها فردوس مزين بالأغصان .

ان النظرة الحديثة للصورة الشعرية تفترق بها عن المفاهيم التقليدية القديمة التي رأت فيها بعداً تزينياً وزخرفياً فأصبحت الآن تمثل قيمة بنائية ممتزجة بصميم العمل الفني حتى أصبح من العسير الفصل بين الصورة والعمل الشعري فكان الشعر هو الصورة والصورة هي الشعر لذلك كان من المناسب ان تتحمل الصورة تبعات الموقف الفكري والمعرفي والرؤية للقصيدة وبذلك تكون لها قيمتان تعبيرية وموضوعية (٢٩)

يقول الشاعر :

النسيان أكثر قدرة على جمعي ، حيث لايعود كلانا يشير

الى مانريد

أُنكر حضورا لايتفادى فيه الواحد أوهامه

أستبدل الرأس بالتجاهل ، أكسر تباهيه بما هو ملغى

أعطيه صباحا مقتضبا أخرجه أقول هذا دوار(٣٠)

يؤكد الالغاء أنه أفضل طريقة لتسجيل الحاضر وادارة أوقاته وأن النسيان يقطع الصلات بالوقت القديم فلاتعود ثمة أشارة لما نتذكره فالحضور الذي نحتفل به هو الخالي من الأوهام . فالنص يطالعنا برغبة مفعمة بالتناسي والتخلص من الذاكرة القديمة التي لم يعد لها شأن في الوقت الحاضر وهذا يؤشر الى رغبة أخرى تتقاسم علاقة منطقية هي رغبة التطلع الى الامام من دون حمولة الماضي .

ان الماضي هو تمسك بالذاكرة وفي الذاكرة انعطافة الى الوراء الذي لايتمتع بمكانة لائقة بنظر الذات لذلك نرى في النص اصراراً على تقطيع كل الصلات المحتملة بالماضي .

المبحث الثالث : المربع السيميائي

قدم كريماس منجزه الذي عرف بالمربع السيميائي واستند في تبنيه لهذا المنجز الى خلفية فلسفية ترجع أصول فكرتها الى المربع المنطقي في الفلسفية السكولاستية وتعديلات جاكبسون عليه . فضلاً عمَّا أنجزه شتراوس في مجال تحليله للأسطورة وتمييزه بين البناء الظاهر لها والبناء العميق(٣١)

والمربع السيميائي يمثل خارطة للوصل والفصل بين السمات الدلالية في النص وهو القاعدة المنطقية التي ترتكز عليها الاختلافات الدلالية لبناء المعنى وتنظيمه وهو يختزل كل مظاهر التجلي على سطح النص ويتلخص عمله بعلاقة منطقية ليست بالجديدة استعملت في مجالات مختلفة وهي أنّنا لايمكن أن نتعرف على معنى الشيء بصورة تامة حتى نتمكن من معرفة نقيضه فحتى نفهم السعادة يجب أن نفهم الحزن وحتى نفهم الفشل يجب أن نتعرف على النجاح ويتحدد عمل المربع السيميائي في البنية العميقة للنص في حين تنشغل

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٦ – تموز لسنة ٢٠٢١

البنية السطحية بتجليات البرنامج السردي ولكي نفهم معنى الكلام علينا بمغادرة صعيد التجلي الى البنيات الاولية التي يستقر عندها الكلام (٣٢)

وبما أنَّ الأمر يتعلق بمنطق الحكي وخطة التيمات السردية للظهور فهذه يعني وجود مستوى قبلي في اللغة تقدم فيه هذه التعارضات التي يعرض مرتسمها المربع السيميائي الذي يقوم على علاقات ثلاث هي علاقة التضاد وعلاقة التناقض وعلاقة الاستتباع .

وسيتم التطرق الى أبرز الثنائيات التي تضمنتها قصيدة (جنائن آدم) لعقيل علي وملامح هذه العلاقات وكيفية تواجدها ومنها :

١ ـــــ **ثنائية الرجل والمرأة :**

وفي عنوان القصيدة مايبرز تواجد المرأة بصورة فاعلة على الرغم من عدم تطرقه لها بالاسم فقد كان الحديث عنها مساوقاً للتمهيد الذي قام به العنوان عندما جاء على ذكر آدم فالمرأة في بقايا النص هي ظل لامرأة آدم حواء بنفس الحمولة المعرفية التي رافقت قصة آدم .

فالنص يريد ان يتخلى آدم عن جنته المزعومة وينفرد بجنة قد تعيد عليه نفس متاعبه لكنها تمثل واقعاً مقبولاً واختياراً يتملك فيه ارادته التي ضيعها في جنته الاولى انه يريد ان يعيش نوعاً من التجربة المشحونة بالشهوة فالمرأة خيار وجود بالرغم من المخاطر التي قد ترافق هذا الخيار والمرأة مشروع سؤال تتجدد فيه الاجوبة .

يقول الشاعر :

أنصتي لتهشم الطفولة

سأبصرك الضوء الذي إليه ركضنا ، يهبط كما أعتاد

أن يمسك ، بطرف لونه ويمضي

كما اعتدت ان يغلقك ويمضي

أيها الضوء الذي أوقد صباحنا

ان الدخان يتصاعد ماذا نقول (٣٣)

فإذا افترضنا وجود مربع يرمز إلى زواياه القائمة بالحروف (أ ، ب، ج ، د) فنكتب في سبيل المثال عند النقطة (أ) كلمة رجل وعند (د) كلمة لا رجل ، ونكتب عند النقطة (ب) كلمة امرأة وعند النقطة (ج) كلمة لا امرأة ، وبفعل الحركة القطرية بين المحاور تبرز لنا العلاقات السابقة فالحركة من (أ ـــــ رجل) إلى (د ـــــ لا رجل) علاقة تناقض ومن (ب ـــــ امرأة) إلى (ج ـــــ لا امرأة) علاقة تناقض ومن (أ ـــــ رجل) إلى (ب ـــــ امرأة) علاقة تضاد ومن (أ ـــــ رجل) إلى (ج ـــــ لا امرأة) علاقة تضمين ومن (ب ـــــ امرأة) إلى (د ـــــ لا رجل) علاقة تضمين.

ففي هذا المقطع من القصيدة تتصارع رغبتان على المستوى العميق الرغبة الاولى تتمثل بتخلص الذات من المرأة وهي تعد ذلك فرصة للحصول على الحياة تعارضها رغبة وجود المرأة التي تمثل كارثة انعدام الحياة . وتبدو علاقة التضاد هي العلاقة الحاكمة في محاور المربع السيميائي لأنها العلاقة المؤسسة الاولى .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٦ – تموز لسنة ٢٠٢١

ان الرغبة في التخلص من المرأة لإيجاد معادل الحياة تدفع منطقياً الى التخلص من خطر يداهم الحياة ولكن المفارقة التي يصنعها النص تتركز في علاقة التضمين التي تفضي الى ان الحياة لاتتحقق او لاتسير من دون وجود تلك المرأة . وبذلك اشارة الى قوى التحدي التي ترافق الفعل الاول للذات .

ثنائية الحياة والموت

فلو تصورنا وجود مربع يرمز إلى زواياه القائمة بالحروف (أ ، ب، ج ، د) وان الحياة تمثل النقطة (أ) وان لاحياة تمثل النقطة (د) وان الموت يمثل النقطة (ب) وان لاموت يمثل النقطة (ج) . فالحركة من (أ الى د ـــــ حياة ، لاحياة) تمثل علاقة تناقض ومن (أ الى ب ـــــ حياة ، موت) علاقة تضاد ومن (ب الى ج ـــــ موت ، لاموت) علاقة تناقض ومن (أ الى ج ـــــ حياة ، لاموت) علاقة تضمين ومن (ب الى د) علاقة تضمين اخرى .

(ثنائية الحضور والغياب)

وفي مقطع اخر من النص يقول الشاعر :

ها أنا ارتجلك ثانية

وهذا ليس الافضل لي

أقتطعك ، أتلاشى بك ، تلاشياً أتخيله وكما ترى

لكن لاتصدق

الاشياء البسيطة أكثر قدرة على تفريقنا . بحيث لايعود

أحدنا طوع الاخر (٣٤)

ان ثنائية الحضور والغياب من أبرز الثنائيات التي استندت إليهما البنية العميقة لهذا النص . ولهذه الثنائية تقنية لافتة يبتدعها النص تقتضي تماهي الحضور مع الغياب . فالنص يقترح فكرة الحضور متجسدة بشرط غياب الآخر فالذات ستحصل على فرصتها في الحياة عند غياب الآخر وهو في ذلك يدخل في مايشبه التحدي . لكن نتيجة التحدي لن تكون في مصلحة الذات في كل مرة .

ان اقتراح الغائب يستدعي حضوراً معيناً لهذا الغائب عند المتلقي وبهذا يتمثل لنا دور المربع السيميائي في كشف دلالات المعنى فالحضور يستدعي الغياب والحضور يتضمن اللاغياب . ففكرة التلاشي التي يبحث عنها لكي يتجنب لحظات المباشرة مع الاخر هي فكرة حضور في مكان اخر وهي في الوقت نفسه فكرة غياب عن مكان اخر .

ان الغياب عن مكان ما هو مشروع للدفاع عن لحظة يُخشى عليها من المواجهة لكنه في الوقت نفسه اقتراح لحضور آخر تستدعيه تلك المواجهة .

فلو تصورنا وجود مربع يرمز إلى زواياه القائمة بالحروف (أ ، ب، ج ، د) وان الحضور يمثل النقطة (أ) وان لاحضور يمثل النقطة (د) وان الغياب يمثل النقطة (ب) وان لاغياب يمثل النقطة (ج) . فالحركة من (أ الى د ـــــ حضور ، لاحضور) تمثل علاقة تناقض ومن (أ الى ب ـــــ حضور غياب) علاقة

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ – المجلد ٤٦ – تموز لسنة ٢٠٢١

تضاد ومن (ب الى ج ـــــــ غياب ، لاغياب) علاقة تناقض ومن (أ الى ج ـــــــحضور ، لاغياب) علاقة تضمين ومن (ب الى د) علاقة تضمين اخرى .

فحضور الذات يقتضي غيابها عن مكان آخر وهذا هو المشروع الذي تقترحه لنفسها لكي ترى فيه لحظة خلاصها وفي هذا تتحرر علاقة التضاد التي يرسمها مربع كريماس . بوساطة فعل الارتجال الذي يقتضي غياباً يدعو الى التذكر الذي هو مظهر من مظاهر الحضور . ثم يتبعه بأفعال أخرى تدل على حضور آخر من قبيل (اقتطعك ، اتلاشى) وكل هذا من أجل الغياب الذي قد يأتي من جهة غير متوقعة .

(ثنائية الانا والاخر)

مرتبكا ألاقيك في الجنوح

لنبدأ فعلا غير مكتمل تواصلا غير مربوط

أطرق عندما تطرق أمام مرآتها موسداً إيَّاها

في الليالي كلها اتبع ذلك الجواب

اغريه بان نكون وحيدين بلا ممرات ساكتين ساعة التنبه(٣٥)

مازالت الذات تعايش جدليات ثنائياتها لتجد فرصة للوقوف امام لحظات الاندثار وهذه اللحظات لابد وان تتمثل الاخر مواجهاً لها أو مسانداً في مشروعها الوجودي . فالرغبة لاتخلو من تواجد المضاد لها فهو حافزها الى الاهتمام بنفسها وهو محرض لها لكي تمضي في مسيرة التحصين الضروري لضمان وجودها . والذات في هذا النص تقترح مرافقة قرينها لكي تتماهى معه في تشييد رغبة ضامنة للحياة ومن دون ذلك الآخر لن تجد الذات فرصة عيشها . فعلاقة التضاد معلمة بتضاد الذات المرتبكة مع الآخر الذي تلاقيه أمّا علاقة التناقض فهي بين الذات واللاذات وهذا ماتتخوف منه فهي تخشى ان تفقد قدرة البحث عن ذاتها لذلك فهي تسعى لإيجاد المساعد لها في هذا المجال وعلاقة التضمين فهي بين الذات والآخر وهذه العلاقة من أبرز مايريد النص ان يكشفه فهو مع الآخر يتضمن أحدهما مع قرينه ليواجها تحديات البقاء .

الخاتمة

إنَّ هذه المحاولة تهدف على قصرها الى زيادة مساحة القراءات التي تعتمد السيميائية منهجاً لها والى إشراك نصوص القصيدة النثرية في كل ما من شأنه أن يكشف عن مضآن الشعرية فيها وفي سبيل ذلك توصلنا للنتائج التالية :

١ـ إنَّ السيميائية وعلى الرغم من انها مازالت تعيش طور التكوين الا انها استطاعت ان تلج في كل المسافات النقدية مستغلة الفيض المعرفي الواسع الذي وفره التنظير الفلسفي لها فمحور العلامة ومحور البنية العميقة والسطحية والمقولات السيميائية الاخرى استطاع كل هذا ان يقارب وبفاعلية مشهودة النصوص الابداعية القديمة والحديثة على حد وان يبحث وبكفاءة عالية عن تمثلات الشعرية الكامنة في خطاباتها

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٦ – تموز لسنة ٢٠٢١

٢ ـــ القصيدة النثرية ميدان لتمكين الاجراءات السيميائية من ان تحقق فرصتها في تحليل النص وكشف ملامحة السطحية والعميقة

٣ ـ إن أطلالة العنوان في النص الادبي تمتلك امتدادات تتعدى بنيته الخطية الى آفاق من الدلالة والتمثل في جسد القصيدة وهو يمثل شفرة المعنى الذي يمكن ان يتقلب بصور متغيرة

٤ ـــ تُعَدُّ الصورة الشعرية من أهم المرتكزات التي يقوم عليها العمل الفني وقد سمح لنا المنهج السيميائي بدراسة الثنائيات كمنطلق تتولد منه دلالات النص كلها ومحددة لملامح الجدلية التي تمثل أساس ابداع النص الادبي .

٥ ـــ ان من أبرز منجزات المنهج السيميائي هو ماأطلق عليه المربع السيميائي الذي اقترحه كريماس فهو وسيلة احصائية فاعلة لغرض تصنيف وتبويب العلاقات التي ينتجها النص الادبي بغية معالجتها والتعرف على مسارات انتاج الدلالة منها .

الهوامش :

١ـ ينظر : السيميوطيقيا والعنونة : د . جميل حمداوي : ٧٩

٢ ـ ينظر : أُسسس السيميائية : دانيال تشاندلر :٢٣

٣ ـــ لسان العرب : ابن منظور : مادة عنن

٤ـ ينظر : القاموس المحيط : الفيروز ابادي : مادة عنن

٥ـ ينظر : عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية دراسة في النص الموازي : فرج عبد الحسيب محمد : ٢٤

٦ـــ ينظر : العنوان في الادب العربي النشأة والتطور : د. محمد عويس : ١٧

٧ـ ينظر : عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص : عبد الحق بلعابد : ٦٦

٨: ينظر : م . ن : ٦٧

٩ـــ ينظر : المغامرة السيميولوجية : رولان بارت : تر :عبد الرحيم حزل : ٢٥

١٠ـ ينظر : عتبات جيرار جينيت : ٤٤

١١ـ ينظر : السيميوطيقيا والعنونة : ٩٩

١٢ـــ ينظر : معجم السيميائيات : فيصل الاحمر :

١٣ ـــ جنائن آدم وقصائد أخرى : عقيل علي : ٤٤

١٤ ـــ ينظر : سيمياء العنوان القوة والدلالة ((النمور في اليوم العاشر)) لزكريا تامر انموذجا : خالد حسين حسين : مجلة جامعة دمشق : مجلد ٢١ : العدد : ٣، ٤ : ٢٠٠٥ : ٣٥٢

١٥ ـــــ جنائن آدم وقصائد أخرى : عقيل علي : ٤٤

١٦ـــــ ـــ ينظر : القارئ في الحكاية : امبرتو ايكو : تر : انطوان ابو زيد : : ٦٣

١٧ ـــ ـ ينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها : د . فاضل السامرائي : ١٦٢ ، ١٦٣

١٨ ـــــ ينظر : نظرية البنائية في النقد الادبي : د. صلاح فضل : ٣٥٦

١٩ ـــ ينظر : فن الشعر : د . احسان عباس: ٣٩

٢٠ ـ ينظر : الصورة الشعرية في النقد الادبي الحديث : ١٩

٢١ ـ ينظر : كيف نتذوق قصيدة حديثة : عبد الله الغذامي : ٩٩

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٦ – تموز لسنة ٢٠٢١

٢٢ـ ينظر : السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها : سعيد بنكراد : ١١٥
٢٣ ـ ينظر : نظرية البنائية في النقد الادبي : ٣٥٦
٢٤ ـــ جنائن آدم وقصائد اخرى : ٥٥
٢٥ ـــــ ـم . ن: ٥٧
٢٦ ـــــ ـم . ن:٤٧
٢٧ ـــ سقط الزند، أبو العلاء المعري: ٧
٢٨ ـــ جنائن آدم وقصائد اخرى : ٤٨
٢٩ ـ ينظر : الصورة الشعرية في النقد الادبي الحديث : بشرى موسى صالح : ١٤٥
٣٠ ـــــ ينظر : جنائن آدم وقصائد اخرى : ٥٥
٣١ ـــ ينظر : اسس السيميائية : ١٨٦
٣٢ ـــــ ينظر : السيميائيات السردية : رشيد بن مالك : ١٨
٣٣ ـــــ ينظر : جنائن آدم وقصائد اخرى : ٦١
٣٤ ـــــ ينظر : جنائن آدم وقصائد اخرى : ٥٤
٣٥ ـــ جنائن ادم : ٥٧

المصادر

الكتب المطبوعة

- الأتجاه السيمولوجي ونقد الشعر : د . عصام خلف كامل : دار فرحة للنشر والتوزيع : القاهرة : ط١ : ٢٠٠٣
- : الجملة العربية تأليفها وأقسامها : د . فاضل السامرائي : دار الفكر : عمان : ط٢ : ٢٠٠٧
- أسس السيميائية : دانيال تشاندلر : تر : د . طلال وهبه : المنظمة العربية للترجمة : بيروت : ط١ : ٢٠٠٨ :
- تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص : د . محمد مفتاح : المركز الثقافي العربي : بيروت : ط٤ : ٢٠٠٥
- ـ جنائن ادم وقصائد اخرى : عقيل علي : منشورات الجمل : بيروت : ط١ : ٢٠٠٩
- دينامية النص تنظير وانجاز : د. محمد مفتاح : المركز الثقافي العربي: بيروت : ط٢: ١٩٩٠
- سقط الزند: أبو العلاء المعري، دار صادر – بيروت، ١٩٥٧م.
- السيميائيات أو نظرية العلامات : جيراردولو دال : تر : عبد الرحمن بو علي : دار الحوار اللاذقية : ط١ : ٢٠٠٤
- السيميائية الأصول القواعد والتاريخ : جوزيف كورتيس وآخرون: تر : رشيد بن مالك : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع : عمان : ط١ : ٢٠٠٨
- السيميائيات السردية : رشيد بن مالك : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع : عمان : ط١ : ٢٠٠٦

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٦ – تموز لسنة ٢٠٢١

- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها : سعيد بنكراد : دار الحوار للنشر والتوزيع : اللاذقية : ط٣ : ٢٠١٢
- الصورة الشعرية في النقد الادبي الحديث : بشرى موسى صالح : المركز الثقافي العربي : بيروت : ط١ : ١٩٩٤
- عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص : عبد الحق بلعابد : الدار العربية للعلوم . ناشرون : الجزائر : ط١ : ٢٠٠٨
- العنوان في الادب العربي النشأة والتطور : د. محمد عويس : مكتبة الانجلو المصرية : ط١ : ١٩٨٨
- فن الشعر : د . احسان عباس : دار صادر : بيروت
- القارئ في الحكاية : امبرتو ايكو : تر : انطوان ابو زيد : المركز الثقافي العربي : ط١
- القاموس المحيط : الفيروز ابادي : مؤسسة الرسالة : بيروت : ط٧
- لسان العرب : ابن منظور : دار صادر : بيروت : ط١ : ٢٠٠٠
- المغامرة السيميولوجية : رولان بارت : تر :عبد الرحيم حزل : دار تميتل للطباعة والنشر : مراكش : ط١ : ١٩٩٣
- نظرية البنائية في النقد الادبي : د. صلاح فضل : دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد : ط٣ : ١٩٨٧

ـــــ الدوريات :

- سيمياء العنوان القوة والدلالة ((النمور في اليوم العاشر)) لزكريا تامر انموذجا : خالد حسين حسين : مجلة جامعة دمشق : مجلد ٢١ : العدد : ٣، ٤ : ٢٠٠٥
- السيميوطيقيا والعنونة : د . جميل حمداوي : مجلة عالم الفكر : المجلد ٢٥ : العدد ٣ : المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب : الكويت : ١٩٩٧
- السيميائيات النشأة والموضوع : د. سعيد بنكراد : مجلة عالم الفكر : العدد٣: المجلد ٣٥: مارس : ٢٠٠٧ :
- كيف نتذوق قصيدة حديثة : عبد الله الغذامي : مجلة فصول : الجزء ٢ : مجلد ٤ : العدد ٤ : ١٩٨٤

الرسائل الجامعية :

- عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية دراسة في النص الموازي : فرج عبد الحسيب محمد : رسالة ماجستير : جامعة النجاح الوطنية : نابلس : ٢٠٠٣ : ٢٤